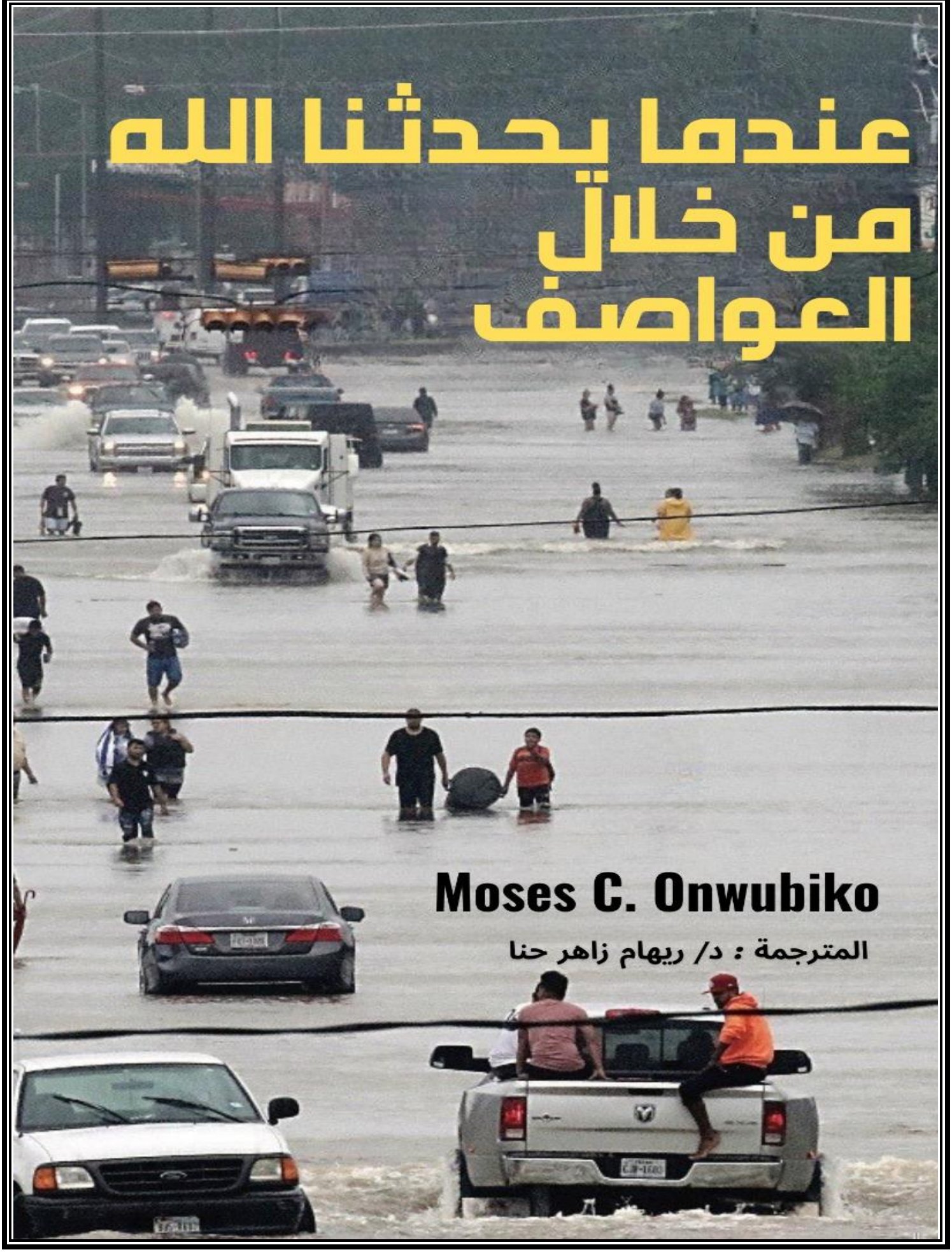
عندما يحدثنا الله
من خلال
العواصف
Moses C. Onwubiko
المترجمة : د/ ريهام زاهر حنا

عندما يحدثنا الله من خلال العواصف

بقلم موسيس سي. أونوبيكو

الكتاب: عندما يحدثنا الله من خلال العواصف.

المؤلف: موسيس سي. أونوبيكو

المترجمة: د. ريهام زاهر حنا

تأليف: موسيس سي. أونووبيكو
خدمة النعمة الإنجيلية، ص.ب ١١١٩٩٩
ناشفيل، تينيسي ٣٧٢٢٢، الولايات المتحدة الأمريكية
www.GEMworldwide.org

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف موسيس سي. أونووبيكو. ٢٠١٨ ©
لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي وسيلة كانت، إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو التسجيل أو أي نظام لحفظ المعلومات أو استرجاعها، دون إذن كتابي من الناشر.

ما لم يُذكر خلاف ذلك، فإن اقتباسات الكتاب المقدس مأخوذة من **ترجمة الكتاب المقدس الأمريكية القياسية**

حقوق الطبع © للأعوام ١٩٦٠، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٩٥ . من مؤسسة لوكمان. جميع الحقوق محفوظة.

تأليف: موسيس سي. أونووبيكو
خدمة النعمة الإنجيلية، ص.ب ١١١٩٩٩
ناشفيل، تينيسي ٣٧٢٢٢، الولايات المتحدة الأمريكية
www.GEMworldwide.org

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف موسيس سي. أونووبيكو. ٢٠١٨ ©
لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي وسيلة كانت، إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو التسجيل أو أي نظام لحفظ المعلومات أو استرجاعها، دون إذن كتابي من الناشر.

ما لم يُذكر خلاف ذلك، فإن اقتباسات الكتاب المقدس مأخوذة من **ترجمة الكتاب المقدس الأمريكية القياسية**

حقوق الطبع © للأعوام ١٩٦٠، ١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٨، ١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٩٥ . من مؤسسة لوكمان. جميع الحقوق محفوظة.

. www.Lockman.org

الآيات الموسومة (ESV)

مأخوذة من **ترجمة الكتاب المقدس الإنجليزية القياسية. التابعة لناشري الأخبار السارة**

٢٠٠١ ، كروسواي خدمة النشر. (إصدار ٢٠١١).

أعيد إنتاج النص بتعاون وإذن من الناشرين. جميع الحقوق محفوظة.

الآيات الموسومة (NIV)

مأخوذة من **الكتاب المقدس – النسخة العالمية الجديدة**

، ١٩٧٨، ١٩٧٣١٩٨٤ © ١٩٨٤.

جمعية الكتاب المقدس العالمية. مستخدم بإذن من زوندرڤان. جميع الحقوق محفوظة.

، حقوق الطبع © ١٩٩٦–**NET®** مأخوذة من **الكتاب المقدس** (NET) الآيات الموسومة .مستخدم بإذن من Biblical Studies Press, L.L.C. ٢٠٠٦

جميع الحقوق محفوظة.

اشترِ الحق ولا تبيعه

(الأمثال ٢٣:٢٣)

إن الحق، وتعاليم الكتاب المقدس السليمة، نادرة الوجود، صعبة المنال؛ لذلك، عندما يقودك الله بفضله اللامحدود إلى الحقيقة، عليك أن تعتنقها وتقدّرها. عليك أن تتمسك بها بإصرار، فهي سبيلك إلى حياةٍ مليئة بالسعادة، وبركاتٍ تمتدّ في الزمان وفي الأبدية القادمة.

إلى أولئك الذين بلا المسيح

خلاصك هو البوابة التي تفتح أمامك علاقةً أبدية مع إله الكون كله. هو المفتاح الوحيد الذي يحرّر بركاتك في الوقت الحاضر ويضمنها لك في الأبدية. خلاصك وطاعتك لله يضمنان لك ولأمتنا وفرةً من البركات. هذه هي البشارة السارة.

والبشارة تصبح أعظم: الخلاص أقرب إليك مما تتصور. أولًا، هناك ثمن للخلاص: موت روحي رهيب. عدل الله طالب بسداد كامل لخطايانا. لقد دفع يسوع المسيح هذا الثمن على الصليب:

"فالله يثبت محبته لنا بأن المسيح مات لأجلنا ونحن بعد خطاة" (رومية ٥:٨).

لقد اكتمل السداد، قد تم, المسيح دفع كل شيء، وهذا أعظم خبر سارّ: ديننا قد سُدد بالكامل. (يوحنا ١٩:٣٠)

وبما أن ثمن الخلاص قد دُفع، فهو الآن متاح لك مجانًا، بلا أي مقابل:

"لأن أجر الله هو الحياة الأبدية" (رومية ٦:٢٣).

هل يمكنك أن تعمل لتنال هدية؟ لا!

"لأنكم بالنعمة مُخلَّصون... الخلاص هبة من الله، لا من الأعمال" (أفسس ٢:٨-٩).

أي جهد تبذله لتكون صالحًا يُعدّ "عملًا". والكتاب المقدس يعبر عن ذلك بجمال:

"لقد خلّصنا ليس على أساس أعمالٍ [صالحات] قد قمنا بها حسب برّنا" (تيطس ٣:٥).

إنها عطية الله لمن يقبلها بصدق .**الخلاص عطية** :لا يمكن التأكيد بما فيه الكفاية

الآن، أمامك دعوة .والنعمة تقوم على **الإيمان وحده بالمسيح وحده** .الخلاص يقوم على **النعمة** واضحة:

"آمن بالرب يسوع المسيح وتخلص" (أعمال ١٦:٣١).

خذ كلام الله على محمل الجد. إذا آمنت بابنه يسوع المسيح وحده من أجل خلاصك، فإن الوعد صريح وواضح:
"لكي لا تهلك... ولك الحياة الأبدية" (يوحنا ٣:١٦).

عندما تؤمن بابنه، فهو يعني تمامًا ما يقوله "لن تهلك" :الله لا يكذب. إنه يفي بوعوده. إذا قال: **لا يمكنك أن تهلك في الجحيم**. فهل ستؤمن الآن؟

إلى المؤمنين

المشاركة في الجماعة أمر لا غنى عنه إذا أراد الله، الروح القدس، أن يباركنا من خلال تعليم كلمته. فكل خطيئة، مهما كانت عظيمة، تمزّق علاقتنا بالله وبإخوتنا في الإيمان. لكن الاعتراف بخطايانا يعيد ما انكسر في جماعتنا.

خذ لحظة، واعترف بخطاياك أمام الله:
"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل ليغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١:٩).

وبعد أن استعيدت جماعتك مع الله، تصبح مستعدًا لمتابعة القراءة والتأمل.

"أعدنا إليك يا رب، فنستعاد؛ جدّد أيامنا كما في الأزل." (مراثي ٥:٢١)

"لا أساس للحضارة إلا في كلمة الله... إذا تمسكنا بالمبادئ التي يعلمها الكتاب المقدس، ستستمر أمتنا في الازدهار؛ أما إذا نحن وذريتنا أهملنا تعاليمه وسلطانه، فلا أحد يعلم كيف قد تحل بنا كارثة مفاجئة وتطمر كل مجدنا في غياهب النسيان."
(١٧٨٢-١٨٥٢) دانيال ويبستر

مقدمة

الكوارث والعواصف، إلى من ننسبها؟ إلى الله أم إلى ما يسمّى بالاحتباس الحراري؟
لقد وقف الناس عبر القرون في دهشة وخوف أمام قوة العواصف وأثرها المدمّر على الإنسان والطبيعة. وما زال هذا التساؤل قائمًا حتى اليوم.

فالإعصار "بولا" الذي ضرب شرق باكستان سنة ١٩٧٠ أودى بحياة نحو نصف مليون إنسان، ليصبح من أشرس الكوارث في الذاكرة المعاصرة. وفي عام ١٩٩٧ اجتاح الإعصار "بولين" المكسيك، فترك وراءه ٤٠٠ قتيل وأكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مشرد. والمكسيكيون حتى اليوم ما زالوا يذكرون هذا الإعصار برهبة. ثم جاء التسونامي الذي ضرب إندونيسيا في ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤، فابتلع أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نفس، وترك البلاد في صدمة ويأس عميق.
ولا ننسى الإعصار "هارفي" الذي اجتاح هيوستن – تكساس وما حولها في أغسطس ٢٠١٧، ويُعتبر الأعنف في تاريخ الولايات المتحدة. والقائمة تطول، فالكوارث الطبيعية تضرب دولًا كثيرة، وما زالت تزداد يومًا بعد يوم. والسؤال الذي لا يهدأ: من وراء هذه الكوارث؟ الله أم تغيّر المناخ؟

هنا يظهر منظوران مختلفان:

المنظور العلماني: يحمّل الإنسان المسؤولية، ويؤكد أن تدخل الإنسان في البيئة وتغير المناخ هو السبب المباشر لاختلال أنماط الطقس.

المنظور الكتابي: يعزو كل كارثة إلى الله نفسه. قد يبدو هذا القول صادمًا، لكن الكتاب المقدس يعلّمنا بوضوح أن الله هو المتحكم في كل شيء.

تأمل كلمات الرب: أنا الرب وليس آخر، مصوّر النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه" (إشعياء ٤٥: ٦-٧).

النبي عاموس يطرح السؤال بقوة: "أم تكون بلية في مدينة والرب لم يصنعها؟" (عاموس ٣:٦).
والجواب: نعم، هو الرب. وسليمان الحكيم يقول: في يوم الخير كن بخير، وفي يوم الشر اعتبر. إن الله صنع هذا أيضًا كما ذاك" (جامعة ٧:١٤).

ويضيف المرنم:

"الصانع ملائكته رياحًا وخدامه نارًا ملتهبة" (مزمور ١٠٤:٤).
"يجعل الأنهار قفرًا وينابيع المياه أرض عطش، والأرض المثمرة سبخة من شرّ الساكنين فيها. يجعل القفر غدران ماء وأرضًا يابسة ينابيع مياه" (مزمور ١٠٧:٣٣-٣٥).

لاحظ هنا فعل الرب: هو الذي يحوّل الأنهار إلى قفر ... هو الذي يجعل الينابيع يابسة... هو الذي يغيّر الأرض الخصبة إلى أرض خراب ... هو الذي يحوّل البرية إلى بحر، والأرض اليابسة إلى عيون مياه. الله هو الفاعل لكل هذا، وليس ما يسمّى بالاحتباس الحراري.

النبي حزقيال يسجل قول الرب: "فأُحدِث في غضبي ريحًا عاصفة، ويكون مطر جارِف وحجارة بَرَد مدمّرة" (حزقيال ١٣:١٣).

ويضيف النبي إشعياء: "هوذا للرب شديد وقوي، كزوبعة برد وكعاصفة مهلكة، كزوبعة مياه غامرة جارفَة، يُسقطها إلى الأرض بيده" (إشعياء ٢٨:٢).

"فتذكر هذا النص كلما سمعت عن فيضان أو عاصفة: "هو أسقطها إلى الأرض بيده"

قد يتردد البعض في قبول هذا، متمسكين بفكرة أن تهور الإنسان هو السبب وراء تغيّر المناخ. وحتى لو افترضنا أن العلماء على صواب في نظريتهم حول دور الإنسان، فإن اكتشافهم لا يُلغي سيادة الله المطلقة. وإن كان الإنسان بالفعل سببًا في تغيّر المناخ، فهو أداة بين يدي الله، لأن:

"لأن كل شيءٍ عبيدك" (مزمور ١١٩:٩١).

حتى غضب الإنسان يستخدمه الله لتحقيق مقاصده:

"لأن غضب الإنسان يحمدك" (مزمور ٧٦:١٠).

أيًّا كانت النظرة، تبقى الحقيقة واحدة: الله يملك السلطان المطلق. هو السيد على الكون.

فالسيادة تعني أن الله يتحكم تحكمًا كاملًا ومطلقًا في كونه. المطر ينزل بأمره. ففي أيام نوح قال له: "هأنذا آتٍ بطوفان المياه على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة" (تكوين ٦:١٧).

وتمت كلمته: "انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت كوى السماء" (تكوين ٧:١١).

لقد عرفت الأرض حينها طوفانًا عالميًا لم يُعرف مثله في التاريخ، لأنه جاء بأمر الله، لا بسبب تغيّر المناخ. وماذا عن الجفاف؟ الله يصرّح بوضوح:

"ودعوت على الأرض جفافًا" (حجي ١:١١).

فلنكن صريحين: الله وحده يملك جهاز التحكّم في الطقس. هو خالق المناخ، وهو وحده سيده. أن نقول إن الإنسان قادر أن يغيّر ما يتحكم فيه الله، فهذا ليس مجرد خطأ، بل تجديف ورفض لسلطان الله على الكون. ويبقى السؤال الأهم: لماذا؟ لماذا يسمح الله بالكوارث؟ لماذا يجرّب الأبرار؟ وهل ما زال الله يتكلم من خلال هذه الأحداث؟

الكتاب واضح: "مصوّر النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر" (إشعياء ٤٥:٧). "أم تكون بلية في مدينة والرب لم يصنعها؟" (عاموس ٣:٦).

إذن السؤال: من المسؤول عن الكوارث؟ الجواب حُسم: الله هو المسؤول. وفي هذا الدرس سنتأمل معًا في ثلاثة أمور:

١- سيادة الله وسلطانه المطلق.

٢- مقاصد الله من خلال الكوارث.

٣- الدعوة الملحّة لتغيير الطريق والرجوع إليه.

أولا

كمال ونزاهة الله

يعرف معظم المؤمنين صفات الله: المحبة، والحياة الأبدية، والصدق، وعدم التغيّر، والعدل، والبرّ، والسيادة، والقدرة الكلية، والعلم الكلي، والحضور في كل مكان. لكن كثيرين لا يدركون حقيقة كمال الله أو نزاهته. في مزمور ٨٩:١٤ نقرأ: "العدل والحق قاعدة كرسيك". هاتان الصفتان معًا يشكّلان كمال الله، وهو حجر الأساس لعرشه.

غالبًا ما نركّز على محبة الله ونهمل البرّ والعدل. وهذا خطأ قاتل. لأن الله لا يمكنه، تحت أي ظرف، أن يتجاوز برّه أو عدله. وكما أن المحبة لا تنفصل عن البرّ والعدل، فكذلك الكمال والمحبة يسيران معًا. الله لا يمكن أن يساوم على أي منهما. فالكتاب يقول: "الله محبة" (١ يوحنا ٤:٨)، ويقول أيضًا: "لأن الرب إله حق" (إشعياء ٣٠:١٨). لذلك يجب أن يحمل البرّ والعدل نفس الوزن في حياتنا وفهمنا لله.

كمال الله أو قداسته يتكون من:

- البرّ: الله يضمن أن كل تعاملاته مع خليقته تمرّ من خلال برّه الكامل. يقول المرنم: بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة... الرب بار في كل طرقه ورحيم في كل أعماله" (مزمور ١١٩:١٣٧؛ ١٤٥:١٧).

- العدل: الله لا يمكن أن يكون سوى عادل في طرقه. فهو عادل مع جميع الناس (رومية ٢:١١). كل ما يفعله يمرّ عبر ميزان العدل. لا يوجد عنده ظلم أو مساومة: "القدير... لا يجور في القضاء" (أيوب ٣٧:٢٣). هكذا يعمل الأمر: كل ما يطلبه برّ الله، ينفذه عدله.
على سبيل المثال، برّ الله طالب بدفع ثمن كامل عن خطايا العالم. وعدل الله تأكد أن الثمن دُفع بالكامل. "لأن أجرة الخطية هي موت" (رومية ٦:٢٣).
لذلك "سُرّ الرب أن يسحقه بالحزن" (إشعياء ٥٣:١٠). "ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رومية ٥:٨). هنا التقى البرّ مع العدل.

على الصليب، احتمل يسوع المسيح غضب الله كاملاً، إذ حُكم عليه بخطايانا. "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢ كورنثوس ٥:٢١). هذا هو ذروة كمال الله: البرّ يوازن العدل، والعدل يؤكد البرّ. لا يمكن التأكيد على هذا بما فيه الكفاية: فالمحبة لا تتسلط على العدل، بل يسودان معًا جنبًا إلى جنب. فالمحبة تُظهر عمل الله، إذ "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يوحنا ٣:١٦).

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يوحنا ٣:١٦). لكن العدل لن يشفق على من يرفض عطية الخلاص التي أُعلنت في محبة الله. فالكتاب يقول: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يطيع الابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣:٣٦).

إن العلاقة بين المحبة والعدل يجب أن تُنقش في أعماق نفوسنا إن أردنا أن نفهم ارتباط الكوارث بالله. "أم تكون بلية في مدينة والرب لم يصنعها؟" (عاموس ٣:٦). لنتذكر أن الله أدان ابنه بلا رحمة، لأن برّه كان يتطلب ذلك. ولا يزال هناك الكثير لنقوله عن كمال الله، وسنتوسع أكثر في القسم التالي.

أمور ينبغي أن نتذكرها:

- كمال الله هو الأساس الذي يقوم عليه كيان الله.
- محبة الله لا تُرجَّح أكثر من برّه وعدله.
- من الخطأ أن نركّز على محبة الله وحدها ونهمل عدله.
- دينونة الله لابنه كانت التعبير الأسمى عن عدله الكامل.

أسئلة للتأمل:

١- ما الصفتان اللتان تتكون منهما نزاهة الله أو كماله؟

٢- ماذا يحدث عندما يُنتهك برّ الله؟

٣- هل للمحبة وزن أكبر من العدل؟ فسِّر.

ثانيا

الله يعرف ما الذي يفعله

من التعزية العميقة أن ندرك أن الله يعرف تمامًا ما يفعله. فهو يمتلك برًا كاملًا وعدلًا كاملًا. هو السيد المتسلّط على الكون الذي خلقه، وله السلطان المطلق عليه. هو كامل في كل طرقه، وما يفعله هو الكمال بعينه. لذلك ليس لنا أي حق أن نعترض على أفعاله أو نشكّ في أحكامه. "من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟" (رومية ٩:٢٠). الله غير ملزَم أن يقدّم لنا تفسيرات.

الله غير محدود، أما نحن فمحدودون. نحن مخلوقات ضعيفة، وأذهاننا صغيرة جدًا لتستوعب فكر الله القدير. حكمته وطرقه لا تُفحَص ولا تُدرَك. داود نفسه وقف مذهولًا وقال: "ما أكرم أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جملتها!" (مزمور ١٣٩:١٧). والرسول بولس هتف قائلًا: "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء" (رومية ١١:٣٣). نعم، هي حقًا لا تُفحَص!

وقد قال الرب بنفسه: "لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي... بل كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم" (إشعياء ٥٥:٨-٩).

طرق الله عادلة

من ذا الذي يجادل في عدل الله؟ العدل يقتضي الإنصاف، والله عادل. ومع ذلك، ورغم إيماننا بعدله، تبقى الأسئلة تنبع من أعماق نفوسنا حول معاملات الله مع خليقته. فنقول: كيف يسمح إله محب أن تضرب الكوارث الضخمة مخلوقاته؟ ولماذا، إن كان الله عادلًا، يسمح

للأبرار أن يتألموا بينما الأشرار غالبًا يفلتون بلا عقاب؟ نتساءل أيضًا: هل الضيق والمعاناة علامة أن المتألم شرير؟ نرى الأشرار يفعلون الشر وينجحون، بينما نحن نفعل الخير ولا نحصد النتيجة المرجوّة. فلماذا نستمر في عمل الخير؟ أسئلة مربكة حقًا.

لكننا لسنا وحدنا في هذه الحيرة. فالكتاب مليء بأمثلة لأناس طرحوا نفس التساؤلات. يقول المرنم: "هوذا هؤلاء هم الأشرار، ومستريحون إلى الدهر، قد ازدادوا ثروة. حقًا باطلًا زكّيت قلبي... كنت مضروبًا اليوم كله وتوبيخي كل صباح" (مزمور ٧٣:١٢-١٤).

وأيضًا النبي إرميا، بدأ بتمجيد الله قائلًا: "بار أنت يا رب"، لكنه أضاف: "لكن دعني أكلّمك عن أحكامك: لماذا تنجح طريق الأشرار؟ اطمأن كل الغادرين غدرًا. غرستهم فأصلوا. نموا وأثمروا ثمرًا. وأنت يا رب عرفتني، رأيتني وامتحنت قلبي من نحوك" (إرميا ١٢:١-٣).

هل ترى ما كان جوهر شكوى إرميا؟ كأنه يقول: "يا رب، لقد أنجحت الأشرار وتركت عبدك الأمين في البرد القارس، لماذا يا رب؟"

في زمن ملاخي، كان الناس يطرحون نفس السؤال:
"ما الفائدة أننا حافظنا على وصاياه؟... نحن نبارك المتكبر، ولا يزدهر الأشرار فقط، بل يختبرون الله ويفلتون" (ملاخي ٣:١٤-١٥).

لماذا تحدث الكوارث؟ قد لا نفهم كل ما يفعله الله، لكن الكتاب المقدس يساعدنا على تفسير الكوارث. وهناك خمسة أسباب رئيسية للكوارث في حياتنا:

١- **العالم الساقط:** نحن نعيش في عالم مكسور نتيجة خطيئة آدم الأصلية. "ملعون الأرض من أجلكم... ستنبت لكما شوكًا وعوسجًا" (تكوين ٣:١٧-١٨). كل شيء في العالم مكسور وغالبًا ما يُنتج الكوارث.

٢- **التأديب الوطني:** تحدث الكوارث كنوع من التأديب التحذيري. يستخدم الله كل وسيلة من وسائل الكوارث لتأديب الأمم التي تقع في خلل روحي بسبب تجاهل وصاياه. "إذا أخطأت دولة في حقي... أمد يدي عليها وأدمر رزقها" (حزقيال ١٤:١٣). يمكن أن ينجز ذلك من خلال العواصف، "ريح عاصفة تنفذ كلامه" (مزمور ١٤٨:٨). فهو يستخدم العواصف للتصحيح (أيوب ٣٧:١٣).

٣- **التأديب الإلهي الشخصي:** يجلب الله الكوارث في حياة أبنائه الجسديين ليعيدهم إليه. "الرب يؤدب من يحب، ويجلد كل ابن يقبله" (عبرانيين ١٢:٦). وقد قال الرسول يوحنا: "أصحح وأؤدب كل من أحب. فكن مجتهدًا وارجع عن لامبالاتك" (رؤيا ٣:١٩).

٤- **بناء الروحانيات:** رغم صعوبة ذلك، فإن المعاناة للمؤمن النامي هي بركة مخفية. الله يُدخل الكوارث لمساعدة المؤمن على الاعتماد الكامل عليه، ويستخدمها لإزالة خبث الكبرياء داخله (ملاخي ٣:٣). ويقول إشعياء عن الله: "قد صَفّيتك... وقد جربتك في فرن الضيق" (إشعياء ٤٨:١٠). ويحث يعقوب المؤمنين: "اعتبروها كل الفرح... عندما تصادفون تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم يصنع الصبر. وليكن الصبر عمله الكامل لكي تكونوا كاملين ومتقنين، لا ينقصكم شيء" (يعقوب ٢:١-٤).

من خلال المعاناة، يتعلم المؤمن دروسًا حياتية مهمة ويفهم معنى الاعتماد الكامل على الله. فقد استخدم الله المعاناة لبناء ابنه يسوع وتحضيره للصليب. "تعلم الطاعة مما عانى، وبعد أن صُفِّي [أو نضج وتكامل] أصبح سبب الخلاص الأبدي" (عبرانيين ٨:٥-٩). ويخبرنا الكتاب المقدس عن كثيرين آخرين مثل أيوب ويوسف وبولس الذين تحملوا المعاناة لأسباب مختلفة عن التأديب. فقد كانت معاناتهم في كثير من الأحيان وسيلة للتحضير أو لجلب البركة لأنفسهم وللآخرين.

٥- **الله يستخدم الكوارث لإظهار قدرته:** "وفي اليوم التالي هلك كل بهائم مصر، أما بهائم بني إسرائيل فلم يهلك منها شيء" (خروج ٩:٦). وقد خاطب الله موسى قائلاً: "أمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أفعلها في وسطها" (خروج ٣:٢٠).

على الرغم من أن الضربات العشر كانت عقوبة على عناد فرعون، استخدمها الله ليُظهر للعالم أجمع أنه الله وحده وأن فرعون ليس إلهًا. وانتشرت أخبار هذه المعجزات العشر، وتجفيف بحر الأحمر، وغيرها الكثير، لتكوّن لدى الناس إدراكًا ورهبة تجاه قدرة الله.

وراهب الزناة رحاب كانت واحدة ممن آمنوا بالرب بسبب عرض قدرته. فقد قالت: "سمعنا كيف جفف الرب ماء بحر الأحمر... ولما سمعنا ذلك ذاب قلبنا... لأن الرب إلهكم هو إله في السماء أعلاها وعلى الأرض أسفلها" (يشوع ٢:١٠-١١).

فلنتذكر أن الله كامل، حكيم، بارّ وعادل، وهو المسيطر على كونه، ويفعل كل شيء وفق علمه وحكمته العظيمة. الله لا يخطئ أبدًا. نزاهته تضمن الكمال والعدل في كل ما يفعله.

أمور يجب أن نتذكرها:

- الله مسيطر على الكون الذي خلقه.
- لا يمكننا أن نفهم الله اللانهائي بعقل محدود.
- الله الكامل لا يمكن أن يصنع إلا أعمالًا كاملة.
- الله عادل مع جميع خلقه.
- يستخدم الله الكوارث لتنفيذ العدالة.
- معاناة الأبرار تعزز نموهم الروحي.

أسئلة للتأمل:

١- بناءً على طبيعة الله، هل يمكننا القول إن الله غير عادل في معاملته لنا؟ فسّر إجابتك.

٢- اذكر أربعة مقاطع من الكتاب المقدس تدعم فكرة أن الله مسؤول عن الكوارث.

٣- اذكر خمسة أسباب تجعلنا نعاني.

ثالثا

الطوفان في أيام نوح

فكّر في أيام نوح قبل أن تشكّ في إمكانية أن يسمح الله المحب بإنزال الكوارث على خليقته. فالرب يسوع المسيح يقارن بين الكوارث المستقبلية وبين الكارثة التي حلّت في أيام نوح:

"وكما كان في أيام نوح، كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان. كانوا يأكلون، يشربون، يزوّجون ويتزوّجون... إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، وجاء الطوفان وأهلك الجميع" (لوقا ١٧: ٢٦-٢٧).

الكتاب المقدّس يخبرنا أنّ عالم نوح أُهلك بالطوفان، والرب نفسه أكّد ذلك. وهذه الإبادة تثير ثلاثة أسئلة جوهرية:

أولاً: من الذي أهلك شعب أيام نوح؟
ثانياً: بأي وسيلة تمّت الإبادة؟
ثالثاً: لماذا حدثت هذه الإبادة؟

الكتاب المقدّس يقدّم الأجوبة بوضوح.

الله هو الذي أهلكهم. تذكّر كلمة الرب في المقدّمة "فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع البهائم والدبابات وطيور السماء" (تكوين ٦: ٧). ثم نفّذ الرب إنذاره "فَمَحا الله كلَّ قائمٍ كان على وجه الأرض» (تكوين ٧: ٢٣). ضع هذه الآية في ذهنك وأنت تتأمل في عدل الله: «فَمَحا الله كلَّ قائمٍ كان على وجه الأرض".

وكان أداة الله في الدينونة هي الطوفان: "انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت كوى السماء. وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة... فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض" (تكوين ٧: ١١-١٢، ٢١). ألا تبدأ الآن تهاب عدل الله؟

أما سبب إهلاك الله للإنسان فكان شر الإنسان العظيم. هذا الجواب على السؤال الثالث هو جوهري لدراستنا: "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تكوين ٦: ٥). ولا بد أن نعود إلى قصد الله في الخلق لنفهم لماذا أهلك الله العالم في أيام نوح. لقد خلق الإنسان لمجده: "كل من دُعي باسمي... لمجدي خلقته" (إشعياء ٤٣: ٧). فاختراع الشرور بكل أنواعها هو نقيض قصد الله في الخلق. ومن ثمّ، فإن برّ الله تعرّض للانتهاك، وكان لا بد أن يتجلّى عدل الله. فلو ترك الله الشر بلا حساب، لفشل قصد الله في خلق الإنسان.

تذكّر أن ما يدينه برّ الله، يحكم فيه عدل الله. البرّ يدين الإنسان بسبب شرّه، والعدل ينفّذ الحكم. وفي أيام نوح شرب البشر كأس غضب الله حتى فيضانه: «انفجرت ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت كوى السماء".

توقّف وتأمّل في كارثة أيام نوح: هل ترى الصلة بين برّ الله وعدله؟ إن الحقيقة مزلزلة: لا أحد ينتهك برّ الله وينجو بلا عقاب. "الشرير لا يُعاقَب حتماً. أما نسل الصدّيقين فينجو" (أمثال ١١: ٢١). رجال جيل نوح الأشرار لم يفلتوا من عدل الله. لقد حفظ الله كلمته وأهلكهم. ولكن ماذا عن نوح ونسله؟ الله أيضاً حفظ كلمته: "وكان نوح رجلاً بارّاً، كاملاً في أجياله" (تكوين ٦: ٩). فخلّصه الله مع أهل بيته الأبرار (تكوين ٧: ١٣).

فهل إله أيام نوح هو إلهنا اليوم؟ هل تغيّرت صفات الله؟ الجواب يأتي من فم الله نفسه: "أنا الرب لا أتغيّر" (ملاخي ٣: ٦).

أمور ينبغي تذكّرها:

- لا يمكن انتهاك برّ الله وعدله دون نتائج وعواقب.

- انتهاك برّ الله وصفة مؤكَّدة لوقوع كارثة مهما كان حجمها.

- العدل الإلهي لا يُفرِّق بين إنسان وآخر.

- لا يمكننا أن نتجاهل نظام الله دون أن ندفع ثمناً باهظاً.

- الله يستخدم أي وسيلة كارثية يختارها لتحقيق مقاصده. فالمرنّم يقول:
"الصانع ملائكته رياحاً [أعاصير]، وخدامه ناراً ملتهبة (مزمور ١٠٤: ٤)".

في المرة القادمة التي تسمع فيها عن إعصار، تذكّر أنه رسول من عند الله. هذا ما يقوله الكتاب المقدّس. فمَن يقدر أن يجادل الكتاب؟

أسئلة للتأمل:

١- ما السبب في هلاك العالم في أيام نوح؟

٢- هل كان الله مُبرَّراً في أفعاله؟ فسِّر.

٣- ما العلاقة بين برّ الله وعدله فيما يختص بالخطيّة؟

رابعا
الله يتكلّم

من قال إن الله قد توقّف عن الكلام؟ على العكس، ففي كل لحظة، وفي كل وقت، وفي كل يوم، يكلّمنا الله. لم يترك الله خليقته في أي زمان في ظلمة أو جهل. ففي كل عصر يكلّم الله الإنسان من خلال الخليقة: "السماوات تحدّث بمجد الله" (مزمور ١٩: ١). إن خليقته تعلن لنا عظمته بطريقة عجيبة. وهو يتكلّم إلينا بطرق متنوّعة—لفظيّة وغير لفظيّة.

التواصل اللفظي

لقد تكلّم الله إلى آدم في الجنّة بكلمات واضحة: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها" (تكوين ٢: ١٦-١٧). ومنذ ذلك الحين، لم يتوقف الله عن أن يُسمِع صوته. ففي العصور الماضية، تكلّم من خلال الرؤى والأحلام (تكوين ٢٨: ١٢-١٦؛

٤١: ١؛ دانيال ٢: ١٩). كما تكلّم بكلمات مباشرة: "ثم قال الرب لموسى: ادخل إلى فرعون وقل له: هكذا يقول الرب" (خروج ٨: ١). وقال الرب ليشوع (يشوع ١: ١)، وتكلّم مع إشعياء (إشعياء ٦: ٨)، وأوحى إلى إرميا (إرميا ٢٩: ٣٠)، ومع كثيرين غيرهم.

ثم جاءت الكلمة الأخيرة من الله إلينا على فم ابنه: "الله، بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين" (عبرانيين ١: ١-٢). لاحظ عبارتي "كلم" و"كلمنا" بصيغة الماضي، وهما تؤكدان انتهاء التواصل اللفظي المباشر.

نهاية التواصل اللفظي

يسوع المسيح، "الوسيط بين الله والناس" (١ تيموثاوس ٢: ٥)، هو آخر مَن تلقّى مباشرةً الرسالة اللفظية من الله الآب: "كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه". وبعد أن جمع يسوع تلاميذه، قضى معهم ثلاث سنوات يعلّمهم ويودعهم الكلمة التي تسلّمها من الآب. وتحت إرشاد الروح القدس دوّن الرسل نفس كلمة الله. "التي ابتدأ الرب بالتكلم بها، ثم تثبتت لنا من الذين سمعوا، شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته" (عبرانيين ٢: ٣-٤).

ولهذا يوصي يهوذا قائلاً: "أن تجتهدوا لأجل الإيمان [أي الحق الكتابي] المسلَّم مرة للقديسينز ..وأما أنتم أيها الأحباء فاذكروا الأقوال التي قالها سابقاً رسل ربنا يسوع المسيح" (يهوذا ٣، ١٧).

تأمّل في الأمر: لقد كان الرسل ومعاونوهم المقرَّبون هم الناطقين الوحيدين باسم الرب، وهذا ما يفسّر أن العهد الجديد بأكمله قد كُتب على أيديهم. وما كتبوه لم يكن إلا كلمة الله عينها: "عالمين هذا أولاً: أن كل نبوّة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلّم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢ بطرس ١: ٢٠-٢١).

لقد أخذ يسوع المسيح يوحنا، آخر الرسل، إلى جزيرة بطمس، وهناك أعطاه الجزء الأخير من إعلان الله للبشر. وعندما أنهى الرب إعلانه، وجّه يوحنا تحذيراً صارماً: "لأني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب: إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب". (رؤيا ٢٢: ١٨)

إن رؤيا ٢٢: ١٨ تمثّل الحدّ الفاصل لإعلان الله المباشر. فأي إنسان يزعم اليوم أنه يتلقّى إعلاناً مباشراً من الله، سواء من خلال أحلام أو رؤى أو لقاء وجهاً لوجه، إنما يتجاوز وصيّة الله

ويصطدم بعدله. علينا أن نكون في غاية الحذر لئلا نضيف شيئاً إلى الكتاب المقدّس. تذكّر أن الله، الذي كلّم الآباء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، قد كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه. إن عبارتي "كلّم" و"كلّمنا" في صيغة الماضي تدلّ على اكتمال الفعل وانتهائه.

لقد تكلّم الله. وكل تواصله مع البشر، سواء بالرؤى أو الأحلام أو الحديث المباشر، قد حُفظ في الكتابة. ونحن اليوم نملك الكتاب المقدّس المكتمل. إن الله يخاطبنا الآن من خلال الكلمة المكتوبة "كل الكتاب هو موحى به من الله [أي نَفَس الله]، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧).

فهل توقّف الله عن الكلام؟ كلا. لكنه توقّف عن الكلام اللفظي المباشر مع البشر. إنما لا يزال يكلّم خليقته اليوم بطرق غير لفظية ـــ من خلال الظروف والأحداث.

أمور ينبغي تذكّرها:

- إن الله في محبته وحكمته اللامتناهية لا يترك خليقته دون تواصل معه.

- تواصل الله ذو جانبين: لفظي وغير لفظي.

- السماوات تعلن مجد الله بغير كلام.

- يسوع المسيح كان ختم الإعلان اللفظي الإلهي.

- رسل يسوع المسيح ومعاونوه المقرّبون كانوا الناطقين باسمه لإيصال رسالته إلى البشر.

- نحن ننتهك تحذير (رؤيا ٢٢: ١٨) عندما نضيف شيئاً إلى الكتاب المقدس.

- لم يعد الله يتكلّم مع الإنسان بلفظ مباشر.

أسئلة للتأمل:

١- بحسب عبرانيين ١: ١، هل لا يزال الله اليوم يتكلّم مع الإنسان من خلال الرؤى والأحلام والأنبياء؟

٢- إلى مَن سلّم يسوع المسيح رسالة الآب؟

٣- ما هو التحذير الذي يورده سفر الرؤيا ٢٢: ١٨؟

٤- بأي طرق يتواصل الله اليوم مع الإنسان؟

خامسا
الله يتكلّم من خلال العواصف

الله يتكلّم من خلال العواصف. عبر التاريخ استخدم الله العواصف ليعلن رسالته للبشر. وقد تكون العاصفة بركة أو تأديباً. يصف أليهو هذا الوحي بصورة بديعة:
"اصغِ إلى رعد صوته، والهُدير الخارج من فيه. تحت السماوات كلها يطلقه، ونوره إلى أطراف الأرض. بعده يزأر صوته، يرعد بصوت جلاله... يقول للثلج: انزل على الأرض، وكذلك لوابل المطر ووابل الغيوث... من الجنوب تأتي الزوبعة، ومن الشمال البرد. من نَفَس الله يُجمد الجليد... بوفرة الرطوبة يثقل الغيم، ويبدّد سحاب نوره... وهو يتقلّب بدورانه لإرادته، ليفعل كل ما يأمر به على وجه المسكونة. سواء للتأديب أو للأرض أو للرحمة يجعله يوجد" (أيوب ٣٧: ٢-٤، ٦، ٩-١٣).

وسأل الله أيوب: "هل دخلت إلى خزائن الثلج، أو أبصرت خزائن البرد التي أبقيتها لوقت الضيق، ليوم القتال والحرب؟" (أيوب ٣٨: ٢٢-٢٣).

الله هو السبب وراء تغيّر المناخ، وليس ما يُسمّى بالاحتباس الحراري. فهو الذي يُنزِل المطر الغزير (أيوب ٣٧: ٦)، وهو الذي يُرسل الجفاف الشديد: «دَعوتُ بالجفاف» (حجّي ١: ١١). وهذا كافٍ ليدحض أي فكر بأن أفعال الإنسان قادرة أن تغيّر تصميم الله الإلهي.

العاصفة كبركة من الله

الله يُنزِل المطر بقدر مضبوط على الأرض ليسقيها: "إن سلكتم في فرائضي... أُعطي مطركم في حينه، فتعطي الأرض غلتها" (لاويين ٢٦: ٣-٤). الله يبارك أي جماعة تتمسّك بوصاياه، فيُرسل لهم مطراً مضبوطاً بالقدر الكافي ليمنحهم حصاداً مثمراً.

العاصفة كعقاب من الله

"يأمرها [العاصفة]... للتأديب" (أيوب ٣٧: ١٢-١٣). يُظهر الله سخطه أحياناً من خلال "سُيول من المطر فوق سيول" المدمّرة، والتي قد تشمل أعاصير، وزوابع، وتورنادو، أو حتى زلازل وما هو أعظم. ويؤكّد المرنّم ذلك قائلاً: "الصانع ملائكته رياحاً [أعاصير]، وخدامه ناراً ملتهبة" (مزمور ١٠٤: ٤). ويضيف: "النار والبرد، الثلج والسحاب، والريح العاصفة الصانعة كلمته" (مزمور ١٤٨: ٨). أما النبي إشعياء فيعلن: "هوذا للرب شِدّة وقوّة، كزخّات برد، كعاصفة مهلكة، كزخّات مياه غزيرة جارية، طرحها إلى الأرض بيده" (إشعياء ٢٨: ٢).

تذكّر أن الله استخدم فيضانات المطر ليُدين شعب أيام نوح، واستخدم العواصف ليؤدّب شعب مملكة يهوذا الجنوبية: "قد ضربتكم باللفح واليعفور والبَرَد في كل عمل أيديكم، وما رجعتم إليَّ يقول الرب" (حجّي ٢: ١٧). فهل يمكننا أن نسمع صوت الله من خلال العواصف؟ الجواب هو: نعم.

أمور ينبغي تذكّرها:

- الله يكلّمنا من خلال العواصف.

- الله يستخدم العواصف إمّا للتأديب التحذيري أو للبركة.

- الله هو المسؤول عن المطر الغزير كما عن الجفاف الشديد.

- التغيّر المناخي يُنسَب إلى الله لا إلى خليقته.

أسئلة للتأمل:

١- بحسب أيوب ٣٧: ١-١٣، من الذي يتحكم في أنماط الطقس؟

٢- ناقش طريقتين يستخدم الله من خلالهما العواصف.

٣- بحسب أيوب ٣٧: ١-١٣ وحجّي ١: ١٠-١١، من المسؤول عن تغيّر المناخ، الله أم الإنسان؟

٤- سمّ فئتين من العواصف التي يستخدمها الله لإظهار غضبه تجاه أمة تدير ظهرها له (مزمور ١٠٤: ٤، مزمور ١٤٨: ٨).

سادسا
صوت العاصفة

العواصف مشبّعة بصوت الله. ومشكلة الإنسان مع الله ذات شقين: الصمم عن سماع صوته وعدم الاستعداد لتغيير المسار. فالإنسان يسمع الله بوضوح لأن الله يواصل التواصل بشكل مميز. أفلا يعرف خالق الآذان كيف يتواصل مع ما خلقه؟

الصمم عن صوت الله

تكلّم الله من خلال خادمه إرميا قائلاً: "لمن أتكلم وأحذّر ليسمعوا؟ هوذا آذانهم مغلقة فلا يستطيعون السماع" (إرميا ٦: ١٠). وقد "عسوا أعناقهم لئلا يسمعوا أو يتلقوا التأديب" (إرميا ١٧: ٢٣). فلا يمكن لله أن يحاسب الإنسان إلا بعد أن يضمن أنه فهم تماماً ما يريد الله منه أن يفعله.

تكلّم الله لفظياً مع يونان الشاب الجليلي: "قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وأنذرها، لأن شرّها قد صعد أمامي" (يونان ١: ٢). وقد سمع يونان صوت الله بوضوح شديد. وكان ما أراده الله منه واضحاً تماماً: أن يذهب ويكرز لشعب نينوى.

قرر يونان ان يصم اذنه عن سماع الله. فقد "قام ليهرب إلى ترشيش بعيداً عن وجه الرب" (يونان ١: ٣). وقد استوجبت عصيانه أن يتواصل الله معه بطريقة غير لفظية من خلال عاصفة. وهكذا، "ألقى الرب ريحاً عظيمة في البحر، فحدثت عاصفة عظيمة في البحر حتى كادت السفينة أن تتفتت" (يونان ١: ٤). أيمكنك أن ترى العلاقة بين العصيان والعاصفة؟

على الرغم من أن الذين كانوا على متن السفينة مع يونان كانوا وثنيين، إلا أنهم شعروا بوجود سبب لهذه العاصفة غير العادية: "هلمّ نرمي قرعة لنعرف بسبب من أصابتنا هذه الكارثة! فطرحوا القرعة، ووقعت القرعة على يونان" (يونان ١: ٧). "القرعة مُرمية، ولكن كل قرار منها من الرب" (أمثال ١٦: ٣٣).

أما يونان، فكان يعلم أنه سبب العاصفة: "اقذفوني في البحر فتسكن لكم البحر، لأني أعلم أن هذه العاصفة العظيمة جاءت عليكم من أجلي" (يونان ١: ١٢). وهكذا أدرك يونان الصلة بين عصيانه والعاصفة.

"فطرحوه في البحر، فسكنت البحر من غضبه" (يونان ١: ١٥). مذهل! عاد البحر إلى هدوئه الطبيعي. لا يجب أن نخدع أنفسنا، فالله هو المسيطر. الذي خلق البحر هو ذاته الذي قال لموج البحر: "اهدأ! اسكن!" (مرقس ٤: ٣٩).

ولم يكن الله قد انتهى بعد من تواصله غير اللفظي مع يونان. فقد أعدّ له "حوتاً عظيماً ليلتهمه" (يونان ١: ١٧). وعرف يونان أمرين: أولاً، أنه سبب العاصفة غير العادية؛ ثانياً، أن الحوت الذي ابتلعه كان من عند الله. فمن قال إن الله لا يستطيع التواصل بطريقة غير لفظية؟

لقد مررت بتجربة مشابهة. أصبحت مؤمناً في سن مبكرة، وبدأت أكرز عندما كنت في الثانية عشرة من عمري. كان نار الإنجيل تحرق قلبي. في قريتي الصغيرة في نيجيريا، كنت أنهض في الصباح الباكر، أحياناً في الساعة الثانية صباحاً، لأكرز بالإنجيل في قريتي. كان من حولي (الوالدان، الإخوة، الأصدقاء وغيرهم) يعلمون أن الله منحني موهبة التواصل. والله الذي منحني هذه الموهبة تأكد من ظهورها فيّ بشكل واضح. بطريقة ما، استقر في روحي شعور أن الله قد دعاني إلى الخدمة. لم يكن هناك مجال للشك.

ولكن كان لدي طموحي الشخصي. مثل يونان، كنت في مسار تصادمي مع دعوة الله، واتخذت طريقاً معاكساً تماماً لدعوة الله. وبنفس الطريقة التي أعدّ بها الحوت ليبتلع يونان، رتب الله لي ثمانية حوادث سيارة مهددة للحياة لتُظهر توجيهه لدعوتي لتغيير المسار. آخر حادث تعرّضت له كان يفوق الوصف في رعبه؛ لقد كان اصطدامًا مباشرًا مع سائق ثمل. كل من رأى الحطام لم يصدق أن إنسانًا يمكن أن يخرج منه حيًّا. لكنني خرجت بنعمة الله. وكما حدث مع يونان، أدركت أن الله قد كلّمني، ومن تلك اللحظة غيّرت مساري. انتهى التأديب في حياتنا نحن الاثنين حين خضعنا لإرادة الله: أمر الله الحوت أن يلفظ يونان على اليابسة، وأزاح عني رسوله (الخاص)المتمثل في حوادث السيارات. فمن قال إن الله لم يَعُد يتكلّم إلينا؟ إنه ما زال يتحدث، لكن المشكلة أننا كثيرًا ما لا نريد أن نصغي أو نغيّر اتجاهنا.

عدم استعداد الإنسان لتغيير مساره

إما أن نصغي إلى الله ونُصلح مسارنا، أو نستمر في مواجهة عواصفه القاسية. هكذا كان الحال في أيام النبي حجّي. فبعد عودتهم من السبي، أبى شعب الله أن يخضعوا لأمره (حجّي ١: ٢-٤). ونتيجة لذلك دبّر الله سلسلة من الكوارث ليجذب انتباههم. وفي وسط هذه (ع ٥). بمعنى: اربطوا بين "اجعلوا قلبكم على طرقكم" :الضيقات الاستثنائية، قال لهم الله عصيانكم وبين العاصفة المدمّرة التي تجتاحكم.

"انتظرتم كثيرًا وإذا هو قليل، ولما أدخلتموه البيت نفختُ عليه. لماذا؟ يقول رب الجنود. لأجل بيتي الذي هو خراب... لذلك منعت السماوات من فوقكم الندى، ومنعت الأرض (حجّي ١: ٩-١١) غلّتها. ودعوتُ بالحرّ على الأرض وعلى الجبال.

التأمل

كلمة **(التأمل)** كثيرًا ما نستعملها بشكل سطحي. فالبعض يربطها باليوغا أو الانغماس في تأملات باطنية. لكن عند الرجوع إلى أصل الكلمة، نجد أن كلمة مشتقة من اللاتيني ومعناها

(الانعكاس) أو (الرجوع إلى الخلف). ويضيء معجم أوكسفورد على معنى آخر وهو التفكير الجاد والعميق.

وهذا بالضبط ما يريده الله منا عندما تمر بنا ضيقات ومشاكل في الحياة. فلشعب يهوذا قال الرب مرتين في الإصحاح ذاته: "اجعلوا قلبكم على طرقكم" (حجّي ١:٥)، "اجعلوا قلبكم على طرقكم" (ع ٧).
كتب الملك سليمان: "في يوم الخير كن بخير، وفي يوم الشر اعتبر... لأن الله صنع هذا مقابل ذاك" (جامعة ٧:١٤). ويوافق أيوب على ذلك بقوله: "لأنه هو يجرح ويعصب، يسحق ويداه تشفيان" (أيوب ٥:١٨).

إن التأمل يتطلب أعلى درجات التركيز، وأعلى درجات التركيز لا تنال إلا في خلوة بينك وبين الله. تحتاج أن تهرب من الضوضاء، وتدخل إلى أعماق نفسك لتفحص حياتك. وكداود قل لله: "اختبرني يا الله واعرف قلبي... وانظر إن كان فيَّ طريق باطل" (مزمور ١٣٩: ٢٣-٢٤).

خذ وقتك، كما فعل يونان، لتربط بين الكارثة التي تعيشها وبين علاقتك مع الله. هذه تشمل عواصف الحياة التي تتجاوز الطقس، كالكارثة المالية أو الصحية. فإن كنت تنمو في النعمة، فاعتبر مصيبتك بركة متخفية. أما إن كنت في تراجع، فاعتبر محنتك إنذارًا يعيدك إلى الطريق المستقيم. "لذلك قوموا الأيادي المسترخية والركب المخلعة" (عبرانيين ١٢:١٢). بمعنى: اتخذ الخطوات اللازمة للعودة إلى الله. افعل ذلك الآن؛ لا تنتظر حتى يضربك الله بقوة أشد.

لقد أصيب شعب يهوذا بالوباء والجدب والبرد المدمر بسبب عصيانهم وعدم استعدادهم للتوبة: "ضربتكم باللفح وباليرقان وبالبرد في كل عمل أيديكم وما رجعتم إليّ" (حجي ٢:١٧). هذه الكوارث لم تكن مرتبطة بتغير المناخ، بل كانت من تدبير الله ذاته. فماذا سيحدث إن واصلنا نحن أيضًا إغلاق آذاننا عن صوت الله غير المنطوق من خلال العواصف؟

تصعيد العاصفة

إن الله يصعد العاصفة عندما يظل الإنسان دون تغيير. فإليهو يذكرنا أن لله غايتين في إرسال العواصف: "إن كانت للتأديب، أو لأرضه، أو للإحسان" (أيوب ٣٧:١٣). في التأديب، يأتي الله بكارثة خفيفة كتحذير. فإذا تجاهل الناس التحذير وأبوا الطاعة، يقول الله: "أزيد ضربتكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم" (لاويين ٢٦:٢١).

فهل تجاهلنا تحذيرات الله؟ كم مرة سمعنا عبارة: هذه أسوأ كارثة تمر بها البلاد؟ لقد آن الأوان أن نحاسب أنفسنا. هل المصائب في حياتك تتزايد أم تتناقص؟
وماذا عن بلدك؟ هل الكوارث في تناقص، أم في ازدياد؟ هذه ليست ساعة أن نبحث عن إجابات خارج ذواتنا، بل أن نلتفت إلى أعماق قلوبنا.

ليس هذا وقت أن نطرح الأسئلة على الآخرين. وليس وقت أن نلقي اللوم على بلادنا لأنها أدارت ظهرها لله. تذكر أن البلاد تبدأ بالفرد، أي بك أنت. أنت تمثل بلدك. فهل نكون شجعان مثل داود الذي كان جادًا في فحص حياته؟ لقد قال: "اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري" (مزمور ١٣٩:٢٣). ولم يكتف بذلك، بل طلب أيضًا من الله أن يرى: "وانظر إن كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقًا أبديًا" (الآية ٢٤).

فلنحذر من أن نخدع أنفسنا. ولا نبرر الكوارث الشخصية أو الوطنية بتفسيرات سطحية. ولا ننسبها إلى ظاهرة الاحتباس الحراري. بل لنعطِ المجد لله القائل: "أنا الرب... صانع السلام وخالق الشر" (إشعياء ٤٥:٧). فما هو المطلوب منا؟ هذا السؤال سيُجاب عنه لاحقًا. أما الآن، فعلينا أن نتوقف ونفتش نفوسنا بجدية. والسؤال يستحق التكرار: هل كوارثك تتناقص أم تزداد؟

نعود إلى السؤال: ماذا يجب أن نفعل؟ أولاً وقبل كل شيء، علينا أن نتخذ خطوات صادقة نحو الاسترداد الروحي:

١- التأمل الروحي: هل أنت في تقدم أم في تراجع؟

٢- إن كنت في تراجع، توقف وحدد خطاياك، واعترف بها أمام الله (١ يوحنا ١:٩) "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم".

٣- ابدأ حياتك الروحية من جديد بصفحة نقية أمام الله.

٤- كوّن عادة يومية في دراسة كلمة الله وتطبيقها.

٥- صل بانتظام: "صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة" (لوقا ٢٢:٤٦).

أمور يجب تذكرها:

- الله لم يعد يتكلم مع أحد بصوت مسموع، لكنه يخاطبنا من خلال الظروف.

- عاصفة الله تحمل غرضين: إما للتأديب أو للبركة (أيوب ٣٧:١٣).

- الله هو خالق الكارثة (إشعياء ٤٥:٧).

- الله يستخدم الكوارث كوسيلة لجذب الانتباه.

- إن تم تجاهل تحذير الله فإنه يزيد من شدة الكارثة.

- إن أُصغي إلى تحذير الله فإنه يقلل أو يرفع الكارثة.

- ليست كل الكوارث مرتبطة بالعصيان.

- تغيير المسار هو أفضل حل عند مواجهة دينونة الله.

أسئلة

- اذكر وسيلتين استخدمهما الله للتواصل مع يونان.

- هل ربط البحّارة الذين كانوا مع يونان على السفينة بين العاصفة غير المعتادة وبين خطيئة تجاه إله مجهول؟ اشرح.

- ما الأمران اللذان حدثا عندما أُلقي يونان في البحر الهائج؟

- ماذا يمكننا أن نفعل عندما تكون مصيبتنا مرتبطة بفشلنا الروحي؟

سابعا

نقطة تحول(المنعطف)

بطبيعته، يميل الإنسان إلى فعل ما لا يريده الله، وإلى الذهاب حيث لا يرسله الله. والكتاب المقدس صريح: "ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معًا... كل واحد منا مال إلى طريقه" (رومية ٣: ١١-١٢؛ إشعياء ٥٣:٦). هذه هي حقيقة الحياة. فالإنسان إذا تُرك لنفسه يصبح مدمّرًا لذاته، مؤمنًا كان أم غير مؤمن.

النعمة متخفية في وسط الكارثة

الكارثة هي وسيلة نعمة الله ليمد يده إلى الإنسان، إذ إن الإنسان يفهم رسالة الكارثة جيدًا. وبعبارة أخرى: لا شيء يلفت انتباه الإنسان أكثر من رسالة الضيق. لنأخذ اليهود مثالًا: "وفي ضيقهم رجعوا إلى الرب إله إسرائيل وطلبوه فوجدوه" (٢ أخبار الأيام ١٥:٤).

لم يطلبوا الله من تلقاء أنفسهم، بل الضيق هو الذي دفعهم إلى طلبه. "لأن الله أقلقهم بكل ضيق" (الآية ٦). لاحظ عبارة "بكل ضيق". لقد أقلقهم الله بكل وسيلة ممكنة تسبب الضيق. وهذا الأمر صحيح أيضًا في حياتنا. فالضيق إما أن يلين قلوبنا أو يقسيها، إما أن يجعلنا نعود إلى الله أو نبتعد عنه.

المرنم يمدح الضيق قائلاً: "قبل أن أذلل أنا ضللت. أما الآن فحفظت قولك... خير لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك" (مزمور ١١٩: ٦٧، ٧١). الكارثة هي أداة نعمة الله التي تُرجع الإنسان عن الهلاك الكامل.

إن الله بنعمته الفائقة يضبط مقدار الضيق بدقة حتى يُحقق النتيجة المرجوة. فعل ذلك مع إسرائيل، ففي ضيقهم رجعوا إليه. وفعل ذلك مع يونان، "فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت وقال: دعوت من ضيقي الرب فاستجابني. من بطن الهاوية صرخت فسمعت صوتي" (يونان ١:٢-٢). لم يطلب المعونة إلا بعدما ألقاه الله "إلى العمق، في قلب البحار" حتى "أحاط به التيار" (الآية ٣).

وهذا ما حدث معي أيضًا. فقد دبّر الرب سلسلة من الكوارث، الواحدة تلو الأخرى، لكي يجذب انتباهي. وكانت القمة حادثة اصطدام وجهاً لوجه مع سائق مخمور، كادت أن تودي بحياتي. لقد كان ذلك الحادث مرعبًا ومحددًا لدرجة أنه تميّز كنقطة التحول في حياتي.

نقطة التحول

تبدأ نقطة التحول بالإدراك أن:

١- من العبث أن أسعى وراء خطتي الخاصة بدلاً من خطة الله المعدة لي.

٢- طريقي دائمًا يقود إلى اليأس.

٣- الرجوع إلى الله هو الطريق الوحيد للأمان والبركة، والسعادة والرجاء والمستقبل.

٤- إن الرجوع إلى الله يتطلب فقط قرارًا بتغيير المسار وعزيمة على الثبات فيه.

قرار تغيير الاتجاه

إن اتخاذ القرار هو الخطوة الأولى، لكن المضي قدمًا فيه هو ما يحقق النتيجة. وقصة الابن الضال تبرز نقطة التحول هذه. لقد اختار أن يسلك طريقه الخاص. أخذ نصيبه من ثروة أبيه وبددها في حياة بعيدة عن الله. انتهى به الأمر مفلسًا. فزارَه الضيق. "فلما أنفق كل شيء، حدث جوع شديد في تلك الكورة، فابتدأ يُعوز... وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب

الذي كانت الخنازير تأكله" (لوقا ١٤:١٥-١٦). أمر مقزز حقًا، لكنه المصير المحتوم لكل من يسير في طريق "أنا وطريقي". القرار بيدك: هل سيكون طريقك أم طريق الله؟

لاحظ ما فعله الابن الضال: "فرجع إلى نفسه... فقام وجاء إلى أبيه" (لوقا ١٧:١٥، ٢٠). يمكننا أن نرى بوضوح أن قراره تبعه فعلا. وماذا فعل أبوه؟ كما نتوقع، "إذ كان لم يزل بعيدًا رآه أبوه فتحنن" (الآية ٢٠).

ذراعا الله المفتوحتان في انتظارك

لا تؤجل. فكلما طال انتظارك للرجوع إلى الله، ازدادت حالتك سوءًا. حلول البشر لا تقارن بالضيق المصمم إلهيًا. "انظر عمل الله. لأنه من يقدر أن يقوم بما قد عوجه؟" (جامعة ٧:١٣). بمعنى آخر: من يستطيع أن يحل ضيقًا صنعه الله؟ لا أحد! وحده الله قادر أن يزيل الضيق.

الكتاب المقدس واضح: "اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران" (إشعياء ٥٥:٦-٧). لذلك أحثك أن تتبع مثال الابن الضال وتعود إلى الله. هل تفعل ذلك الآن؟

أمور يجب تذكرها:

- الكارثة هي وسيلة نعمة الله للوصول إلينا.
- الضيق يدفعنا للنظر إلى الله.
- نقطة التحول تبدأ بقرار تغيير المسار.
- الله يفتح ذراعيه على مصراعيهما عندما نرجع إليه

أسئلة:

١- ما هو قصد الله من السماح بالضيق في حياتنا؟ اذكر آية.

٢- ما الذي ورّط الابن الضال في مشكلته؟

٣- ماذا فعل الابن الضال ليُصلح وضعه المأساوي؟

٤- ماذا يمكننا أن نفعل لإصلاح وضعنا مع الله عندما نفشل؟

ثامنا

سؤال أخير

لقد وصلنا إلى أهم جزء في دراستنا. فإجابتنا عن هذا السؤال الأخير ستحدد مصيرنا. لذلك، فلنُعيد النظر بتأنٍ في كل جزء من الأجزاء الداعمة السابقة.

لقد قضينا وقتًا كافيًا في بداية دراستنا لنؤسس كتابيًا أن الله السيد، الإله المتسلط على الكون، هو المسؤول عن الكوارث. "أنا صانع السلام وخالق الشر. أنا الرب صانع كل هذه" (إشعياء ٤٥:٧). وهذا يوضح أن كل كارثة، سواء مباشرة أو غير مباشرة، تُنسب إلى الله.

في القسم الأول، تأملنا في نزاهة الله، وركزنا على جانبين من صفاته: البر والعدل. تعلمنا أن كل ما يدينه بر الله، يقضي فيه عدله فورًا. فعلى سبيل المثال، عندما نخطئ، فإننا ننتهك معيار الله البرّي. وعدله يتعامل مع ذلك مباشرة. فالمحبة لا تلغي العدل، بل كليهما يحملان نفس الوزن.

في القسم الثاني، رأينا بوضوح أن الله العليم بكل شيء يعرف تمامًا ما يفعل. فهو لا يُفاجأ أبدًا. يعرف ويسيطر على أعماله من البداية إلى النهاية. إنه عادل، يقضي بحسب معياره البرّي. وهناك، تعاطفنا مع الذين أدهشهم نجاح الأشرار ومعاناة الأبرار. كما عرضنا خمسة أسباب لآلامنا. العالم المنكسر، والخلل الروحي الحادث في البلاد ، وإظهار قوة الله، والتأديب الإلهي، وتنمية القوة أو السعة الروحية.

وعند إعادة التأمل في القسم الثالث، نرى بوضوح أن الله استخدم الطوفان كأداة للهلاك ليُفني العالم في أيام نوح. وقد ربطنا الأمر بأن العالم انتهك برّ الله بشكل خطير، فجاء عدله ليستجيب بقوة.

وعند النظر بتعمق في القسمين الرابع والخامس من دراستنا، توصّلنا إلى أن الله قد تكلّم شفهيًا، وما زال يتكلّم حتى اليوم بطرق غير مباشرة من خلال العواصف. وقد بدّدنا الفكرة المسبقة القائلة بأن التغيرات المناخية الحادة سببها الاحتباس الحراري، فالله هو الضابط. إنه المتحكم في كونه وكل ما فيه. "هُوَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا" (تثنية ١٠:١٤).

يستخدم الله العواصف لتحقيق أمرين: البركة (بأن يروي الأرض للزراعة) والإنذار أو التأديب (بإحداث دمار في الممتلكات أو حتى في الأرواح).

وفي القسم السادس، تعلمنا أن لكل عاصفة صوتًا، فهي تتكلّم. فقد استخدمها الله لإيصال رسالة إلى يونان. وفي ذات القسم تعلمنا أن الله بالفعل يُصعّد الضيق إذا رفض الإنسان الإصغاء إلى إنذاره. ومن الواضح من هذا القسم أن الله يرفع الضيق حينما نستجيب إيجابيًا .إلى عاصفة إنذاره، كما فعل يونان

ثم في القسم السابع، تأملنا في نقطة التحوّل. ورأينا أن الله يستخدم الضيق ليدفع الإنسان أن يرجع إليه. وقد مدح المرنّم الضيق (مزمور ١١٩: ٦٧، ٧١). ووجه إلينا نداء عاجل أن نعود إلى الله قبل أن يفوت الأوان.

إن تعامل الله مع البشر واضح وبسيط: الطاعة تجلب البركة، والعصيان يجلب الكارثة. وبصفته أبًا محبًا، يطبق الله درجات مختلفة من الضغط ليحثنا على الخضوع لكلمته. تأمل: إن عصيان يهوذا كان السبب الرئيس لجفاف غير مسبوق، "لِذلِكَ مُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ عَنْكُمُ مِنَ النَّدَى وَمُنِعَتِ الأَرْضُ مِنْ غَلَّتِهَا" (حجي ١:١٠).

شعب الله هو الصلة بين السماء والأرض، وبين الله والإنسان. الله يبارك أو يلعن العالم من خلالك. فأنت مميز بهذا المعنى. "بِبَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمِينَ تَرْتَفِعُ الْمَدِينَةُ" (أمثال ١١:١١). "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ" (متى ٥:١٤)؛ "مِلْحُ الأَرْضِ" (الآية ١٣)؛ "رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الزَّكِيَّةُ" (٢ كورنثوس١٥:٢) ؛ سفراء للمسيح.(٢ كورنثوس٢٠:٥) ؛ و"وعاء بركة" ٢:١٥ (أمثال ١١:١٠-١١).

الي متى؟

طرح الله على إسرائيل سؤالًا يمس القلب بعمق:
لماذا تصرون أن تُضربوا مرارًا؟ ولماذا تتابعون في تمردكم؟ رأسكم قد نُكب بجُرح عظيم، وكل جسدكم قد ذبل وضعف. من باطن أقدامكم إلى قمة رؤوسكم لا يوجد موضع سليم. بل كدمات وجروح وقروح مفتوحة، لم تطهَّر، ولم تعصب، ولم يُسكب عليها زيت الشفاء (إشعياء ١: ٥-٦). وهنا نصل إلى السؤال الأخير: إلى متى سنظل نقاوم تحذيرات الله الكثيرة، ونتجاهل نداء رحمته المتجددة؟

إن طول أناة الله ليس بلا حدود، فقد كُتب: الرجل الذي يغلّظ عنقه بعد كثرة التوبيخ سيُكسر بغتة ولا شفاء له (أمثال ٢٩:١). وقد حدث هذا مع يهوذا، إذ إن الله أرسل إليهم مرة بعد مرة

بواسطة رسله، لأنه أشفق على شعبه، ولكنهم استهزأوا بالرسل بلا انقطاع، حتى اضطرب غضب الرب على شعبه، ولم يعد هناك دواء. فصعد عليهم ملك الكلدانيين وقتل شبابهم بالسيف، ولم يُشفِق على الفتى ولا العذراء، ولا على الشيخ ولا الضعيف، بل أسلمهم جميعًا ليده (أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٥-١٧).

علينا أن نأخذ تحذيرات الله على محمل الجد في حياتنا وأمتنا، وألا ننتظر حتى تنفد صبره علينا. إنها صلاتي من كل القلب أن تأخذوا كلمة الله بجدية. لقد ضُربنا من كل جانب بمختلف الكوارث، الواحدة تلو الأخرى، ولا أحد يعلم بما قد يسمح الله أن يأتي بعد. ولكن هناك رجاء، إذ يمكن تجنب ذلك. قال الرب: إن تكلمت على أمة أو مملكة بالقلع والهدم والإهلاك، فرجعت تلك الأمة عن شرها الذي تكلمت عليها به، فإنني أندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها (إرميا ١٨: ٧-٨).

وقال أيضًا: إن تواضع شعبي الذين دُعي اسمي عليهم، وصلّوا وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طرقهم الرديئة، فإني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأشفي أرضهم (أخبار الأيام الثاني ٧:١٤).

أيها الآب السماوي، أرجعنا إليك فنرجع (مراثي إرميا ٥:٢١). هذه كانت صلاة عبدك إرميا قديمًا، وهي صلاتي أنا أيضًا الآن.

لا تدع لقارئ هذا الكتيّب راحة، إلى أن يقرّر أن يرجع إليك بكل قلبه. هذا أطلبه باسم ابنك الوحيد، يسوع المسيح. آمين.

قال سي. إس. لويس في كتابه "مشكلة الألم": إن الله يهمس لنا في أوقات لذّاتنا، ويتحدث في ضميرنا، لكنه يصرخ في آلامنا، فهي بوقه ليستيقظ العالم الأصم.

المطبوعات المتاحة:

***كتيبات(منشورات):**

- الضمان الأبدي للمؤمن (بالإنجليزية والإسبانية)

- ركوب قطار الموت (رسالة رجاء) (بالإنجليزية والإسبانية) (متوفر أيضًا على اسطوانة صوتية بالإنجليزية)

- انسكاب محبة مسيحية

- من أنت؟

***كتب:**

- العقيدة الكتابية للخلاص
- تعزية في وسط الألم
- الكوارث: جرس إنذار من الله
- التركيز على الزواج المسيحي
- الغفران بالاعتراف وحده
- العطاء: جزء لا يتجزأ من العبادة
- خطة الله بعد الخلاص (بالإنجليزية والإسبانية)
- رسالة يعقوب: الإيمان بدون أعمال ميت (نداء عاجل إلى المسيحية العملية)
- يوسف: عمود من النعمة
- نظرة شاملة على نعمة الله
- بولس: كأس لنعمة الله
- الآيات والعجائب (رد كتابي على ادعاءات صانعي المعجزات المعاصرين)
- موهبة الألسنة الروحية (إجابة كتابية على ظاهرة الألسنة الحديثة)
- ما هي الحياة الروحية؟ (انعكاس حياة المسيح فينا)

للحصول على هذا أو أي من المطبوعات الأخرى، يُرجى مراسلة خدمة الكرازة بالنعمة:

في الولايات المتحدة:
P.O. Box ١١١٩٩٩
Nashville, TN ٣٧٢٢٢ U.S.A.
www.GEMworldwide.org

في المملكة المتحدة:
www.GEMEurope.org
office@gemeurope.org